

تضحيات

فوضعت الأم التعسة يدها في جيبيها والدموع تفرق في محاجرهما وأخرجت عشرة دنانير وقالت له بصوت تخنقه العبرات : « سيدى هذا كل ما أملك ... أتضرع إليك ... أرجو ... » فقاطعها الطبيب غاضباً وقد قطب جبينه قائلاً : « ماذا تريدن ، أتريدن أن أشفي ابنتك بعشرة دنانير ؟ أتقابلين نصيحتي هكذا ؟ لاشك أنك جننت ، ولم يكذبتم كلامه حتى انطلق كالسهم ، وكانت خطبته السابقة عن الشفقة والرحمة وعن التضحية الواجبة على كل مصلح ... ! إن لم يكن مفسداً - يدوى صداها في الهواء . ولم أطق أكثر من هذا واطلقت طائراً إلى هذا المسكان ولم أفهم أى تضحية كان يقصدها ذلك الملك الرحيم !! أربأ بالأحرى ذلك الشيطان الرحيم !! »

فرزق صاحبها قائلاً : « لا عجب يا أخى إذا أنذرهم أنبياؤهم بالنار والجحيم ، والعذاب الأليم دون سائر الأحياء ... فوجلجت في الغرفة مطرقاً بعد سماعي هذه الحكاية ... وقلت في نفسي ما أغبى هذا الطائر ! وأى عجب فيما جرى ؟ »

عبد الرحمن الرصماني

« حكمة قاض »

من أغرب الأحكام الصينية أن أربعة من تجار القطن خافوا أن يسطو القمار على قطنهم ، فابتاعوا هراً بأن دفع كل واحد منهم ثمن نفذ ، فحدث أن الهر جرح بفخذ من أنغازه فربط جرحه بالقطن وبل بالغاز ، فقضت الصدقة التعسة بالتهاب الضماد ، وفرار الهر إلى أكاداس القطن فأحرقها ، فقام أصحاب الأنغاز الثلاثة السليمة الدعوى على صاحب الفخذ الجريح ، فأصدر القاضي حكمه بأن الفخذ الجريح لم يحمل الهر إلى القطن ، ولكن الأنغاز السليمة هي التي حمته ، فعلى أصحابها أن يدفعوا ثمن قطن صاحب الفخذ الجريح .

فتحت النافذة هذا الصباح وكانت أمامها شجرة شاهدت عليها طائرين جميلين ، يفرد أحدهما والآخر يصغى إلى أنغامه بكل انتباه ، وبعد لحظات صمت هذا الطائر ، ثم التفت إلى صاحبه على أثر ابتسامة ساخرة بدت على وجهه وسأله قائلاً : « ما الذي يضحكك يا أخى ؟ » فأجاب : « لا شيء سوى أنى في حيرة من أمر هذه المخلوقات المسماة بالبشر - إن هذا الرجل الذي ينظر إلينا يذكركني بمحادثة غريبة شاهدتها أمس ... » فالتفت صاحبه إلى وأخذ يحدق في طويلاً ... ثم قال : « ماذا رأيت ؟ » فأجاب : « بعد أن عبرت البحار السبع ووصلت اليابسة شاهدت حركات تبدو من أشخاص مجتمعين تحت شجرة فدفعني الفضول ، وحب الاستطلاع إلى النزول عليها - فوجدت فتاة مريضة ملقاة على الرمل وحوطها اتباعها وقد ملأ الحزن قلوبهم وكادت أن تنفطر ، وسمعت أحدهم يقول : « نعم لقد ذهب أخوه ليحضر طبيباً من القرية المجاورة ... »

لكن متى يأتى ؟ » وبعد لحظات رأيت ثلاثة أشخاص قد حضروا . وفهمت أن الأول كان أخاها ، وأما الآخران فكانا الطبيب ومساعداه ولما دنا الطبيب الموقر إلى هذه السقيفة ، وعرف داءها ، ثم رأى توسل أهلها بأن يساعدهم في شفاء ابنتهم ، وأخبروه أنهم لا يملكون إلا شيئاً يسيراً من المال ، وباسم الإنسانية أن يعطف على وحيدتهم ولو يقتضيه شيء من التضحية .. وأن يدرك هذه المشرفة على الهلاك قبل أن تتخطفها يد المنون .. وبعد أن رأى كل هذا رفع رأسه وقال : « نعم إن واجبي خدمة الإنسانية بكل إخلاص ، وبصرف النظر عن أى مصلحة شخصية ، وإني الآن لبازل قصارى جهدى في معالجة هذه المسكينة ثم توقف قليلاً عن خطبته فمالت الأم البائسة له : « حياك الله ملاك رحيم ... » ثم استأنف قائلاً شكراً ولكن في الحقيقة مرضها صعب وغريب ... ولا أدري هل تتحملون أتعاب علاجها ، ولتقديري ظروفكم لا أطلب أكثر من مئة دينار ... »